الثورة الثلاثاء 3 ذو الحجة 1431هـ الموافق 9 نوفمبر 2010م العدد (16799)

ابن عامر .. ليتهم يهبوا لنجدته

نعمان الحكيم

وأنا أتهيأ لكتابة مقالي هذا ، كنت اتصفح جريدة (الناس) الغراء ، ولفت انتباهي في (صـ١٥ - جوال الناس) آراء لقراء ماشاء الله عليهم إنهم ثروة في شبابهم فكيف بهم في امتداد عمرهم المديد؟.

الصفحة مطرزة بأسماء نعتز بها وهم (محمود عبدالفتاح – عصام أبو نصير– من عدن – أم حسن – من أمانة العاصمة – عبداللطيف القباطي– ابتهال المحروق – حسن الرسي) ولا أدري هل هذه أفكارهم أم هي صياغة المحرر لكنني أجزم أنها لأصحابها .. فلهم التحية والمستقبل المنظور.

ولفتت انتباهي عبارة وردت في موضوع (الرسي) جاء فيها: قال الرافعي رحمه الله: (إذا لم تزد شيئا على الدنيا كنت أنت زائدا عليها) يا سلام على هذه الحكمة التي اختارها صاحبها على أساسها يمكن أن يكتب عشرات الكتاب مقالات مطولة عنها لأهميتها وعمق دلالتها وغير ذلك.

ثم وردت عبارة أخرى له هي: (عطاء الصداقة .. آه لا تجعل صديقك يبحث عنك عندما يحتاجك ، ولكن أن تكون (أنت) بجانبه وقت حاجته إليك ، أن تكون وقت فرحه أول المهنئين ووقت حزنه أول المساندين).

لذلك سنبدأ من هنا.. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ذلك هو الرجل الذي امتحنه الله بمرض كبدي يصارعه منذ سنين ، وهو رجل عفيف نظيف عرفناه– في بواكير أيام الوحدة عام ١٩٩٠م – رجلا وطنيا مثقفا نادر الشبه والسلوك والخصال الحميدة ، عباس الذي كان المثل الطيب في التفاعل مع زملائه في مكتب تربية عدن أيام طيب الذكر الأستاذ علي حسن الوريث الذي ما يزال له ذكر وعطر فواح والصفات لا يمحوها الزمن أقول كان عباسنا يتألق ويقفز من موقع لآخر. غير عابئ بالمرض الذي كان يتضاعف في ملازمته له ، ولم ينتهز ابن عامر موقعه لتحقيق مآرب أنانية ، ظل كما عرفناه بحرصه ومواقفه وثقافته العالية والغالية التي نعتز بها وبسماع شذرات منها وللأمانة أمثال عباس عامر يدخل القلب بلا طرق أو (دقوق) على الباب لأنه محبب وأثير ، ولكن الله أراد له الامتحان ، ولم يكن يعلم هو أو أسرته الصغيرة أنه في ضيق صحة أو ذات يد بيضاء براتب زهيد للغاية ونعلم نحن أحبته وزملاؤه أننا لن نفيذه إلا بالدعاء مع كل صلاة أن يمن الله عليه بالشفاء أما التبرعات فإن رواتبنا ضئيلة ، ولو كانت على ضآلتها ستعيد له رونق الحياة لوهبناها له ، ولو دماؤنا هي التي ستشفيه لما بخلنا بها عليه.. لأن الكبد (علميا) يعيد بناء نفسه لو تحقق العلاج سريعا وعباسنا ما زال شابا وإرادة الله سبحانه وتعالى ستعيد له صفو الحياة ، لكن الإسناد مهم وفي أشد الظروف وأحلكها.

وقد رأيت أن أستأنس بعبارات القراء الأعزاء سالفة الذكر لعلها هي المعبر الحقيقي عنا وعن صديقنا وأخينا عباس الذي يعيش محنته لوحده ، دون أن نرى من يكون كريما وفيا في هذه اللحظات ليمنحه منحة علاجية مشمولة وسريعة لإنقاذه من مرض فتاك، فعباس عامر يعمر قلبه بالإيمان والخير والتضحية ، ومن العيب السكوت عما يعانيه لأنه سيكون لو تباطأنا عن إنقاذ حياته ، اللعنه التي ستصيبنا لا قدر الله إن حدث له مكروه ، لكن الثقة أولا بالله سبحانه وتعالى وقيادة وزارة التربية والتعليم ومحافظ محافظة حجة (مسقط رأسه) وفي رئيس الدولة (أبو الجميع) فخامة الرئيس سيكون همزة الوصل لاستصدار قرار سريع يؤدي إلى سرعة علاج عباس عامر عبدالرحمن الذي ندعو له بالشفاء إن شاء الله.

كما ندعوا النقابات في ديوان الوزارة وعدن للتبرع براتب يوم أو بمبلغ (ألف ريال) تستقطع من راتب (نوفمبر) لصالح حياة عباس التربوي السياسي الوطني الإنسان ، ذلك هو أقل الوفاء.

ومن هذه الصحيفة الجماهيرية نجدد الدعوة سائلين الله سبحانه وتعالى أن يلطف بعبده الطيب عباس عامر وأن يعمر حياته وصحته بالعافية.. وشدة وتزول إن شاء الله يا أبا محمد.

دروس حادثة الطردين

معاذ القرشي

انفجار قنبلة في الدول الغنية لا يكون له نفس دوي رصاصة في الدول الفقيرة إنه منطق أعوج لكن مع شدة اعوجاجه وجد له ألف مدافع وألف وسيلة إعلامية وألف صحفي مستعدون لإقناع الناس بهذا المنطق.

وحدها الحقيقة غابت أو بالأصح غيبت لأننا دولة لا تملك بريق المال الذي بالإمكان أن نستخدمه في إظهار الحقيقة للرأي العام العالمي عن جهود اليمن وتضحياتها في مواجهة خطر الإرهاب.

لم تفكر اليمن وعبر تاريخها بأنانية أو وضعت رأسها بالتراب ولكن ظلت حاضرة في المشهد الدولي تؤدي ما عليها وحرصها على أنها كيان ينبغي أن يكون فاعلاً في محيطها الإقليمي والدولي وخاصة في مكافحة الإرهاب.

عندما قررت مكافحة الإرهاب لم تستخدم إلا أسلوباً واحداً هو مواجهة هذا الفكر إما بالمواجهة العسكرية أو بعمليات الإصلاح لأولئك المغرر بهم وإعادتهم أناس صالحين قادرين أن يسهموا إيجابا في المجتمع لم تكن من ضمن وسائلها لمكافحة الإرهاب تصدير الإرهاب كما يفعل البعض لأنها تعرف بأن تصدير الإرهاب هو خطر لا يقل عن خطر الإرهاب نفسه.

اليمن وهي تكافح الإرهاب كانت تعتقد ومازالت أن الغير حريص عليها وعلى أمنها واستقرارها كما هي دوما حريصة على أمن واستقرار الغير لكن الإيغال في حسن النية هذا هو ما جعل اليمن الآن ضحية لحفنة غادرة من التخلف لكن اليمن بإرادتها وبإنسانها الذي طوع الطبيعة قادرة على تجاوز ما يظنه البعض آخر المطاف والنهاية وطن عظيم اسمه اليمن .. فقط نريد جبهة داخلية قوية تعزز قيم الولاء الوطني وتنظر إلى مشاكل الوطن بشفافية وتضع الحلول بروح تعي جيدا خطورة التحديات التي تواجهها اليمن.

لن تظل اليمن تمارس دور الشرطي لحماية أمن واستقرار الآخرين في الوقت الذي يغط الآخرون في نوم عميق ثقة من جدوى وسيلة تصدير الإرهاب وبأن العنف لن يطالها وهنا مربط الفرس وسائل اليمن في المكافحة مشروعة وواقعية ولا تسبب الضرر عكس وسائل الآخرين التي تفوح منها الأنانية وحب الذات لكن مع ذلك لن نشتكي ولن نخرج عن مبادئنا ولكننا سنعكس بشكل أعمق وسنراجع مواقفنا ونراجع أيضا وسائلنا في المكافحة إن هي أدت مفعول عكسي وأضرت بأمننا واستقرارنا من الخطأ أن نفكر بتأمين خط الرجعة أو إبقاء شعرة معاوية إذا كان ذاك سيلحق ضرراً بجهودنا المخلصة في مكافحة الإرهاب.

حادثة الطردين وما رافقتها من زوبعة إعلامية إذا نظرنا إليها من زاوية ما جعلتنا نتعلم من الآخرين فإنها عكست أن الدول التي تتحدث كثيرا عن القاعدة لها صلات موطدة بالقاعدة هذه الصلات جعلتها تعرف تفاصيل آخر العمليات في أجندة القاعدة وما تعلمناه أيضا أن العرب الذين يكثرون دوما من التباكي كون اللوبي اليهودي يمتلك وسائل الإعلام العالمية لكننا مع ذلك ننكر وجود لوبي عربي قادر على امتلاك وسائل الإعلام الغربية وتحويلها إلى منابر لنشر سياسته وفكرة أنانية حتى لو كانت ضد مصالح شعوبه ومصالح أمنه واستقراره كما علمتنا هذه الحادثة أن هذا الغرب يمكن أن يتقبل الحقيقة إذا كانت تناقض ما يريده وما هو مقتنع به أن يكون كذلك يجب الاستفادة من هذه الحادثة وبما يخلق رؤية يمنية ناضجة توازن بين مصالحنا القومية ومصالح وأمن واستقرار الآخرين مع تقديم مصالحنا فالعصر عصر المصالح.

أهمية المحافظة على تراث اليمن من المخطوطات

محمد محمد العرشي

تناولنا سابقاً الشعار الذي رفعناه (فلنعمل جميعاً على اكتشاف ثروات بلادنا وكنوزها) وعلى ضوء هذا الشعار أحب أن أؤكد مرة أخرى أن اليمن تمتلك من الثروات الشيء الكثير والذي يجعلها من أغنى الدول فجبالها معادن، وترابها غذاء ونفط، ومدنها وقراها وحصونها وقلاعها متاحف حية، وحتى رياحها وشمسها طاقة..

وتملك أيضاً من التراث الثقافي الذي يشمل التراث المادي والتراث العلمي والتراث المعماري والتراث الموسيقي والغنائي ما يجعلها أيضاً متميزة عن غيرها من البلدان.

وهذا التنوع والتعدد للتراث الثقافي منذ الآف السنين يعكس جوانب الإبداع للحضارة الحميرية والسبئية والمعينية والإسلامية، فجوامع اليمن ومدارسها ومخطوطاتها ونقودها وحرفها وأزياءها وفنونها تطل علينا من كافة الحقب التاريخية تحكي لنا الإبداع في اليمن في العصور المختلفة.

وطن بهذه الإمكانيات الهائلة يجعلنا نحن اليمانيون نتسأل أين المشكلة في هذا الوطن الذي يملك هذه الإمكانيات الهائلة من الثروات والتراث الثقافي، ربما نحن اليمانيون لم نستوعب ما وهبنا الله سبحانه وتعالى من هذه الثروات المتعددة والتراث المتنوع الذي لا يقدر بثمن ورغم أن الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز قد نبهنا بوصف بلادنا بصفة لم يصف بها أي بلاد في العالم بقوله تعالى (بلدةٌ طيبةٌ وربٌ غفور) »سورة سبأ آية« ١٥ ويقول بعض الاقتصاديين الغربيين أن إمكانية اليمن شحيحة وهذا غير صحيح وإنما يريدون أن يخدرونا بهذه المقولة فالمشكلة هي في الإنسان وعدم قدرتنا على إدارة واستثمار هذه الثروات المتعددة والتراث المتنوع الذي نملكه.

إذاً فمشكلتنا هي انشغالنا بالأمور السياسية وتناسينا التنمية، وهنا يجب على علماء التاريخ وعلماء الاجتماع اليمنيين مجتمعين أن يقوموا بدراسة التاريخ اليمني في العصور المختلفة ويكتشفوا مكامن القوة والضعف في حياتنا مما يجعلنا قادرين على استثمار ثروتنا وتراثنا لصالح الإنسان والتنمية.

واليمن تمتلك ثروة علمية كبيرة لا يستهان بها في جميع المجالات حتى أن الكثير من العلماء العرب أشاروا إلى أنه يوجد في اليمن معظم ما خلفته المعتزلة من تراث علمي والذي بقي محفوظاً في اليمن، وتحتوي المخطوطات اليمنية المنتشرة في كافة المدن والهجر العلمية على جميع العلوم الإنسانية الإسلامية والتاريخية وقد ضمن ذلك الباحث القدير الأستاذ عبدالله الحبشي في كتابه (مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن) النص على العديد من العلوم التي تضمنتها المخطوطات اليمنية والتي شملت كل من علوم القرآن والحديث والسيرة النبوية وعلم الكلام والفقه وأصوله وعلم الفرائض والتصوف والأدب واللغة والتاريخ والعلوم، كما شملت كلاً من علوم السياسة والفلك والمساحة والحساب والطب والزراعة والكيمياء والموسيقى والفلسفة وبإمكان القارئ الكريم إذا أراد أن يتوسع في المعرفة الرجوع إلى الكتاب المذكور، كما قام المرحوم القاضي المؤرخ إسماعيل بن علي الأكوع في كتابه القيم (هجر العلم ومعاقله في اليمن) بذكر ما يزيد عن) ٥٠٠ (خمسمائة هجرة منتشرة في جميع أنحاء اليمن والذي تخرج منها مئات العلماء وألفوا المئات من الكتب في الكثير من المجالات وقد خلفت لنا هذه الهجر ثروة علمية من المخطوطات لاتقدر بثمن بالإضافة إلى الكتب التي تضمنت الترجمة للعديد من العلماء اليمنيين المشهورين مثل المؤرخ القاضي بهاء الدين بن محمد بن يوسف الجندي السكسكي الكندي المتوفي سنة٧٣٢ هـ في كتابه (السلوك في طبقات العلماء والملوك)،والعلامة المؤرخ عبدالوهاب بن عبدالرحمن البريهي المتوفي ٩٠٤هـ في كتابه (طبقات صلحاء اليمن)، وشيخ الإسلام محمد علي الشوكاني في كتابه (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع)، والمؤرخ المرحوم محمد بن محمد زبارة في كتبه (نيل الوطر)، و(نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف) و(أئمة اليمن)، و(نزهة النظر). و(تاريخ حضرموت) تأليف الشيخ العلامة سالم بن محمد بن سالم ابن حميد الكندي، و(تاريخ حضرموت) تأليف صالح الحامد. وغالباً ما كان يشار في هذه التراجم للعلماء اليمنيين إلى المؤلفات المخطوطة التي قاموا بتأليفها، كما أن معظم التراث العلمي الكبير من المخطوطات القيمة التي تزخر بها بلادنا في كافة المدن التاريخية والهجر والعزل هو موجود في المكتبات الخاصة المملوكة لكثير من الأسر اليمنية وقد ذكر المؤرخ المرحوم الأستاذ عبدالرحمن بن عبدالله الحضرمي في كتابه (زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ) أنه كان يوجد في مدينة زبيد لوحدها) ٨٠ (مكتبة وقد اندثرت معظمها سواءً بالبيع أو بسبب الإهمال أو قيام ورثة أصحاب هذه المكتبات بالتصرف بمحتوياتها وتوزيعها في ما بينهم وقد تنبه المستشرقون إلى أهمية ما تملكه اليمن من كنوز تراثية سواءً من القطع الأثرية النادرة والتي يعود تاريخها إلى الحضارات الحميرية والسبئية والمعينية والعصور الإسلامية المتعاقبة كما تنبهوا إلى ما تملكه اليمن من ثروة ضخمة من المخطوطات التي لا تقدر بثمن وقد سعى هؤلاء المستشرقون ومسئولو المكتبات والجامعات ومراكز البحث الأوروبية للحصول على المئات بل الآلاف من هذه المخطوطات بصورة غير مشروعة إلا القليل النادر بصورة مشروعة.

وقد ورد في كتاب (دليل الباحث في التراث العربي ، الصادر عن دار البصائر بدمشق ضمن سلسلة مصادر وموارد، إعداد الباحث– بسام عبدالوهاب الجابي، الطبعة الأولى١٤٠١ هـ١٩٨١ م) أن عدد المكتبات التي فيها المخطوطات العربية) ٤٥٤ (مكتبة، منها في أمريكا وأوروبا) ١٥٢ (مكتبة، و) ١٢٢(مكتبة في تركيا، وفي الدول العربية) ١٠٦ (مكتبة، وفي الدول الإسلامية) ٧٤ (مكتبات، ومن خلال هذه الإحصائية يتضح لنا حجم المخطوطات العربية ومنها اليمنية التي غُرِّبت إلى جميع أنحاء العالم. وقد تم ذلك عن طريق تهريب أو تغريبَ أو تهجير تراثنا.

وقد ورد في كتاب (فهرست مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء، التابعة لوزارة الأوقاف الجزء الأول، الصادر عام١٩٨٤ م) أن علي أميري (دفتر دار) الأتراك في اليمن في القرن الثالث عشر الهجري الذي كان أحد هواة جمع نوادر المخطوطات قام بالتفرغ طوال حياته لشراء المخطوطات اليمنية حيث بلغ ما جمعه(١٠٠٠) مجلد، ولا تزال محفوظة في تركيا. وفي نفس الوقت قام التاجر الإيطالي السنيور جوزيبي كابرتي (الذي كان أحد الوكلاء لإحدى الشركات الإيطالية في الحديدة) بشراء عشرات المخطوطات اليمنية التي بلغت (١٦١٠) مخطوطات.

ويمكن للقارئ الكريم إذا أراد أن يعرف معلومات عن تغريب التراث اليمني الرجوع إلى كتاب المرحوم الدكتور محمد عبدالقادر بافقيه في كتابه (المستشرقون وآثار اليمن) والذي قام بنشره مركز الدراسات والبحوث اليمني، وكتاب المرحوم الدكتور محمد عيسى صالحيه في كتابه (تغريب التراث العربي بين الدبلوماسية والتجارة) والذي قام بنشره أيضاً مركز الدراسات والبحوث اليمني.

أخي القارئ الكريم

نحن بحاجة إلى وقفة جادة وواعية ومستوعبة لأهمية المحافظة على التراث الثقافي لبلادنا وأهمية المحافظة على المخطوطات اليمنية وما تمثله من أهمية بالنسبة للثقافة اليمنية والعربية والإسلامية والإنسانية، وبإمكان هذه المخطوطات أن تجعل بلادنا مركزاً إشعاعياً للحضارة العربية والإسلامية إذا أحسنا التعامل مع هذه المخطوطات وحافظنا عليها وقمنا بدراستها وتحقيقها ونشرها.

وهناك الكثير من الصعوبات التي تواجه الجهات المختصة في بلادنا للحفاظ على تراثنا من المخطوطات والتي تتمثل بالآتي:

أولاً: عدم وجود قانون للمخطوطات ينظم المحافظة عليها وتداولها وكيفية حمايتها كما يعطي القانون الجهة المختصة حق الإشراف على هذه المخطوطات وفي نفس الوقت يحافظ على الحقوق الفكرية لأصحاب هذه المخطوطات، لأن الجهات الحكومية المختصة لا تستطيع أن تتدخل في المحافظة على المخطوطات إلا بالقانون لأن الأصل حرية التصرف في الملكية والمالك للمخطوطة هو حر في تصرفه يتصرف فيها كيفما يشاء ودون الأخذ في الاعتبار أحقية المجتمع في أهمية المحافظة على التراث الوطني والعربي والإسلامي.

ثانياً: عدم وجود الوعي لدى المواطنين بأهمية المخطوطات وكيفية المحافظة عليها ولا سيما في حالة وفاة العالم صاحب المخطوطات الذي كان يحرض أثناء حياته بالمحافظة عليها على أسس علمية والاهتمام بها مما حال دون اندثارها وتعرضها للآفات التي أصابت الكثير من المخطوطات مثل الأرضة والعثة.

ثالثاً: التصرف في محتويات المكتبة التي تشمل العديد من المخطوطات بعد وفاة صاحبها وتقسيمها حسب الأنصبة الشرعية دون مراعاة وحدة موضوع المخطوطات ودون مراعاة إمكانية الوارث على المحافظة عليها كما كان يحافظ عليها مورثه، وعدم وجود إمكانية لدى الوارث للمحافظة عليها.

رابعاً: قد يحدث أن ينتقل جزء من هذه المخطوطات إلى ملكية الوارث وهو فقير محتاج وبالتالي فإنه يقوم ببيعها لأول راغب في الشراء وبثمن بخس لأنه لا يعرف قيمتها المادية والمعنوية.

alarachi@maktoob.com

في النظافة .. لماذا الإهمال

حاتم علي

في الحياة تبرز إليك أشياء عديدة تشكل أرقا اجتماعيا وفرديا في زوايا مختلفة من حياتنا.. وبهذا تظل حياتنا بحاجة إلى دور مهم للإنسان نفسه من أجل إغفال دور الكسل والتراجع في مسيرة العمل المختلفة.

من هنا لا بد من الإشارة إلى أهمية النظافة في حياة الشعوب ونحن من هذه الشعوب التي اشتهر إنسانها بمقدرات حياته واتضح جليا خلال الفترة الأخيرة تراجع النظافة وجهودها في شتى المدن الرئيسية في عدن وصنعاء ومعظم عواصم المحافظات.

وفي إطار الحقيقة حظيت مدينة صنعاء بالاهتمام في فترات سابقة وفي هذه الأثناء بل وإلى هذه اللحظات ما تزال القمامة مكدسة في كل أرجاء الأمكنة وبخاصة مديرية بني الحارث الذي يقل كثيرا جهد الجهات الخدمية فيها.

فقط ما يدعو للتساؤل المكرر هو ما سر بقاء أكوام القمامة والأتربة الصلبة على حافة الشوارع إذ يمر العامل من فوقها عبر مكنسته دون أن يقربها أو يتجاوزها ويحسب في ذات نفسه أنه قام بالنظافة والأصل أن عمله ذلك ما هو إلا تهذيب ومداعبة للأتربة ليس إلا.

فلماذا لا يتم من قبل مكاتب الأشغال رفع مخلفات الأتربة المترسبة في زوايا الشوارع ليصبح بعد ذلك من السهل القيام بتنظيف الشوارع التي أصبحت في حساب المسفلتة.

طبعا هذا الأمر يلاحظ من الجميع فقط ما هو سائد في كثير من أعمالنا هو غياب الضمير بدرجة أولى وكذلك غياب الشعور بالمسؤولية ، وهذا العامل المهم نتج عنه توافر سيل كبير وعميق من السلبيات في تفاصيل متنوعة من حياتنا.

إننا اليوم بحاجة إلى أشخاص يضعون الوطن في أولى الاهتمامات وعمل النظافة من أجل الأعمال الوطنية التي ترسم صورا بديعة عن بلدنا الأجمل.

وجدانيات

عبدالجبار الجنيد

فجأة في ظهيرة أحد أيام عيد الفطر المبارك يرن هاتفي السيار فإذا به أحد الأصدقاء - عبدالناصر بجاش - وبعد الانتهاء من تبادل التهاني والتساؤل عن الحال والترحال وبعفويته المعهودة يقاطعني صديقي الأعز مقترحاً بأن يكون مقيلنا اليوم في جبل صبر بمعية ثلاثة من الأصدقاء لا داعي لذكر الأسماء.

دون تفكير أو ترتيب مسبق بالإجابة كان ردي بالموافقة لا أدري ما السبب – هل هو الاشتياق لبعض الأصدقاء المتوقع لقياي بهم وانقطاعي عنهم من فترة طويلة أم عبقرية المكان أم لأني كنت على موعد مع السحر والجمال.

نعم ليست المرة الأولى التي أزور فيها جبل صبر لكن هذه الزيارة لها لونها الخاص ونكهتها المدهشة، هذا ما بدا لي عندما بدأت السيارة صعودها الجبل حتى أعلى قممه، حيث موقع الاستراحة المحددة، كان يتدفق من أعماقي إحساس جميل تناغماً مع سحر وجمال المكان حتى وصلنا إلى الاستراحة حينها بدأنا المقيل كالعادة إيقاعات معهودة مجاملات ومزاح.. إلخ، كل ذلك وأنا مأخوذ أراقب حالمتي من كل حدب وصوب اندهاش معطر بالحب طيلة مقيلي أرنو متأملاً إلى تلك الحالمة رغم أن فترة أحلامها طالت لا ضير.

أرنو محدقاً على كثير من تفاصيلها، لا سيما وأنا عشت فيها أجمل أيام العمر – الثانوية العامة – نعم تشكلت ونمت أحلاماً ومدينتي تلك معاً لكنها لم تتحقق بعد.

نعم رحلت محدقاً إليها وكانت الرحلة الأجمل – وكذا ذهبت بعيداً بالذاكرة ربما إلى جبل قاسيون المطل على مدينة دمشق الفيحاء أو إلى جبل الشيخ في لبنان من خلال أغاني فيروز والتي أراني بحاجة إلى سماعها في هذه اللحظات أو ربما إلى جبال الهملايا في الهند بيد أنني أعود عنوة منتشياً إذ طالما أشتم عبق الورد وشذى شقر السواد وفوح الرياحين لدى بائعاته في أكثر من نقطة على جانبي الرصيف زد على ذلك التشقر بكل ذلك ومن الكاذي والفل في ذات اللحظة ناهيك عن تورد خدود تلكم الصبايا بلون حبات اللبن اليمني المحمص فتراني وكل ذي لب نذوب إعجاباً وعشقاً وطرباً إن جاز التعبير إحساساً بالجمال من قمة الرأس حتى أخمص القدم.

كثيراً ما كان يجول بالخاطر ذلك الإنسان البسيط بكل إمكانياته المتواضعة كيف له أن ينسجم مع الطبيعة ويتكيف معه وأنى له أن يتحد معها كما هو عليه الحال وكيف كانت بداية تلك الاستئناس أنها إرادة البشر العالية عندما توجه في اقتحام قوافي الحياة وكيف لهذا الجبل الأكثر بأساً وثباتاً والأوفر تعرجاً وتعقيداً أن يكون بهذا السحر ومن أين له كل هذا الجمال، يبدو أن الحديث عنه ومحاولة وصفه فيه ضرب من الخيال والرومانسية فيه سفر في روحانية جبران خليل جبران حين يشرب الفجر خمراً في كؤوس من أثير وعندما يتلحف الفضاء ويسكن الغاب زاهداً فيما سيأتي ناسياً ما قد مضى.. إلخ.

فجأة تنقطع سلسلة تلك المشاهدة المفعمة بالاندهاش – معطرة بزهور الانتصار على الطبيعة أو التماهي معها تتداخل أصوات عدة بيد أن أدفأها ذلك الصوت الذي يقطر من ثغر ذلك الرجل الأسمر شهداً ينسل عذوبة وحكمة تارة بالأدب وأخرى بالتراث والفن وكثيراً ما تم إنجازه مسترسلاً في إطار أنشطة مؤسسة السعيد الثقافية هذا الصرح الثقافي العملاق الذي ساهم ويساهم في إثراء المعرفة والأدب والفكر وتشجيع البحث العلمي في العديد من العلوم الإنسانية، الجميل في استطراد الرجل حديثه المتناغم مع ما يدور في خلدي وخصوصاً حول الذاكرة الشعبية والمخزون الثقافي لدى أبناء هذه المحافظة على اثرها عدت محلقاً على سماء المدينة من الأعلى وكأني نسر وفي غمرة رحلتي تلك توقفت كثيراً على قلعة القاهرة – أتراها تلك هي قاهرة الأعداء، وما يكتنفها من غموض، ولماذا كل هذه الحيرة تساؤلات عديدة – كيف – لماذا – وأين؟

صالة.. مقر الإمام الدائم، قبل الثورة وكيف كان الثوار ينظرون إلى مستقبل هذه المدينة؟ وما ينبغي لها؟ وإذ بي أربط كل ذلك إلى ما علق على جدران ذاكرتي المرهقة من خلال قراءاتي الأولى عن الثورة (يوم ولد اليمن مجدداً) للمناضل عبدالغني مطهر رحمة الله عليه وهو الرجل الأكثر إنصافاً، فتراني مأخوذاً في القاهرة مرة أخرى لا سيما وهي ترى متلألأة مضيئة بعيداً هناك وكأنها تحفة نادرة مرصعة بالذهب وخصوصاً في مثل ليلتنا هذه الحالكة الظلام، ولكن سرعان ما يشدني ذلك الرجل الأسمر الذي أشرت إليه في الأحرف التي أرتحلت قبل الوصول إلى هنا إنه الاستاذ فيصل سعيد فارع بحديثه الحالي مبتسما وهو الرجل المثقف كثيراً وكأنه بحر من المعرفة في كثير من الأشياء عندما يتحدث عن تعز وهو الأقرب إلى تفاصيلها وتاريخها وكأنه عاش كل مراحله.

مشيراً إلى أن الندوة التي نظمتها جامعة تعز حول ما كتب عنها من قبل الباحثين والمهتمين بها محليين أو أجانب واختزال كل ذلك في كتاب، خلال سماعي تبدى لي ما قرأته بعيداً من الذاكرة في هبة النيل وعبقرية المكان (شخصية مصر) للمفكر جمال حمدان، وكذا قصة مدينتين للأديب الانجليزي تشارلزديكنز.

أرجو أن يكون هذا الكتاب فيه قدر من التخصص والموضوعية بالقدر الذي أتمنى اقتناءه وليكن مقدمة لأعمال مشابهة في محافظات أخرى من هذا الوطن العظيم الواحد.

ما ينبغي التوقف عنده ملياً هو أنه ليس من الانصاف عدم الإشادة بدور هذا الإنسان العملاق في هذه الرقعة الهامة التي تشكل خاصرة الوطن هذا الإنسان الذي طوع الطبيعة كغيره من أبناء الوطن منذ الأزل وعاش معتلياً هذه القمم غير آبه بعصف الرياح ناطحاً للغيم أحياناً ومصافحاً للشمس نهاراً حاضناً للقمر مساءً منادياً للسماء بكل صخبه بأن تباركه وتهبه كل رشد وتمده يد العون في سبيل أن يجعل الحق على الأرض سائداً وهو فحوى الحياة وسر استخلاف الإنسان على البسيطة قيل بأنه الفضول أما أنا شأني آخر أقول هو أستاذ الوطن الكبير عبدالله عبدالوهاب نعمان بصوت فنان الأرض والإنسان والثورة والوحدة أيوب طارش.

ها هي رحلتي تدنو من مرساها الأخير وليس بوسعي سوى الوقوف تحية إجلال وعرفان إلى مجموعة هائل سعيد للدور الكبير الذي تقدمه باتجاه إظهار هذه المحافظة بمظهرها الحديث، وكذا مؤسسة السعيد الثقافية وأخص بالذكر ذاك الرجل الرائع الأستاذ فيصل سعيد فارع.

اعتراف الآن بأن قلمي لا يستطيع التكابة دون ذكر أو قراءة الفاتحة إلى تلك الروح الطيبة يمنية الهوى والطبع، تلك الروح التي ذابت حباً وهياماً وكذا عطشاً في هذا الوطن إلى روحه الزكية وهذه الأبيات اهداء إلى روحه الطاهرة:

ذاك الفضول
قمراً يضيء
بنوره كل الدروب
ذاك الفضول سكن القلوب
ظمأ تجذر
يشتهي
أن يرتوي
عز الوطن
ذاك الفضول
صوت السواقي الحالمة
تشدو لكل الطيبين
ألحانها:
طعم الشروق
ألوانها:
كل الشجن
ذاك الفضول
سمّوه إن شأتم وطن
سمّوه إن شأتم علم
هو كل ذاك
هو باختصار وجه اليمن.